فلسفة الصراع الحسيني - الأموي عام(61هـ/680م)

في ضوء النظريتين المادية والمثالية - دراسة تاريخية

م . د .عباس محيسن حريجة سلمان اللامي

تدريسي في مديرية تربية ميسان

رقم الموبايل / 07718348119

الايميل dr.amh1985@gmail.com

ملخص الدراسة

تبحث الدراسة في خلفية الصراع الدائر بين الأمويين من جهة وفلسفة الثورة الحسينية من جهة أخرى ، نتيجة الاختلاف بينهما ، في المعتقد والاخلاق والدين والمبدأ إذ يرى الأمويين بان العامل المادي هو الاساس في حركتهم وخطواتهم ، بينما ترى فلسفة الثورة الدين والاخلاق المثالية هي جوهر الحياة ولابد من تطبيقها .

The study examines the background of the conflict between the Umayyads on the one hand and the philosophy of the Husseini revolution on the other, as a result of the difference between them, in belief, morals, religion and principle. their application

المقدمة

على الرغم من كثرة الدراسات وتشعبها عن الثورة الحسينية وفلسفتها إلا أنها لاتزال تثمر بالاستمرارية والابداع كلما تم قراءتها قراءة جديدة ومن زاوية معينة سواء أكانت تاريخية أم فلسفية فقد تفرز نتائج ورؤى جديدة وحقائق وأفكار مغايرة ، ووفق تلك المعطيات جاءت هذه الدراسة لتمزج البعد الفلسفي مع الطابع التاريخي للثورة ولتكشف اغوارها وفلسفتها وعمقها الفكري والتأملي وغاياتها السامية ومضامينها الانسانية.

ولأجل دراسة الثورة في منهج جديد ارتأت الدراسة هذه أن تبحث الثورة الحسينية والدولة الأموية في ضوء الصراع الفكري والفلسفي المتناقضين في المحتوى والمفهوم وهما المادي المتمثل بالدولة الأموية والمثالي الاخلاقي المتجسد في الثورة الحسينية وفلسفتها ، فضلاً عن ذلك فأن الصراع بين هذين الضدين قد أفرز نتائج ومعطيات مختلفة أثرت بشكل أو بأخر في حركة التاريخ لكلا البعدين بحيث جعلتهما على خط المواجهة على مدى التاريخ بصور وفلسفات مختلفة .

وقد ركزت الدراسة هذه على مادية الأمويين وفلسفتهم في الحكم منذ جدهم الأعلى أبي سفيان[1] حينما صرح علناً عن فلسفتهم في الحكم بالاعتماد على المادية والجبرية في الافعال الإنسانية والحركة التاريخية حتى زوال ملكهم السياسي وكانوا يبغون الهدف من ذلك الاحتفاظ بسلطتهم واستمرارهم بالحكم ، الأمر الذي دفعهم للصراع مع الخط العلوي الذي كان يمثل النظرية المثالية بصورة عامة والثورة الحسينية بصورة خاصة والتزامهم في مثالية العقيدة والاخلاق والتضحية والصدق وفي كل حركة تاريخية يتحركون بها خلاف خصمهم الآخر سواء من الأمويين أم غيرهم مما نتج عن ذلك أنْ تحول هذا الصراع إلى خط متأصل ومستمر على طول التاريخ .

فرضية البحث

تعالج الدراسة فلسفتين مختلفين في المنهج والاهداف والغايات إذ لكل منهما رؤيتهما وأنصارهما وفلسفتهما سواء في السياسية أو الدين أو حتى الاخلاق والمبادئ الإنسانية ، فجاءت هذه الدراسة لتشخص مسار تلك المنهجيات وتبين غاياتها واهدافها سواء أكانت سلبية أم ايجابية.

منهج البحث

أعتُمد في هذه الدراسة منهجان أساسيان ، الأول سردي تاريخي من خلال إيراد الروايات التاريخية من مصادرها الأساسية ، والثاني المنهج التحليلي الفلسفي الذي وظفت فيه الآراء والأطروحات والمفاهيم الفلسفية لكل أبعاد الصراع سواء المادي أم المثالي وتطبيق المعطيات التاريخية على الجوانب الفلسفية لكلتا النظريتين.

هيكلية البحث

فرضت طبيعة الدراسة والمادة العلمية المتوفرة تقسيمه على مبحثين أساسيين سبقتا بمقدمة وختمتا بخاتمة لاستخلاص أهم النتائج ، تناول المبحث الأول فلسفة الصراع الأموي في ضوء النظرية المادية ، على حين تطرق المبحث الثاني لبحث فلسفة الثورة الحسينية في ضوء النظرية المثالية الأخلاقية ومضامينها الإنسانية .

المبحث الأول / فلسفة الصراع الأموي في ضوء النظرية المادية

هناك العديد من العوامل والنظريات التي فسرت وعللت الأحداث التاريخية ورسمت معالمها الحضارية والإنسانية ، ويبدو أنّ سبب الاختلاف هذا يعود إلى الظروف الزمانية والمكانية والسياسية التي نشأت فيها تلك النظريات، فضلاً عن الدينية والأحوال الأخرى ، إضافة لذلك اختلاف آراء الفلاسفة والمفكرين ووجهات نظرهم والخلفيات التي يحملونها سواء الفكرية منها والعقيدية أم حتى السياسية ، كل تلك العوامل انتجت نظريات مختلفة سواء أحادية الجانب أو ذات جوانب متعددة أم ترجيح نظرية على حساب أخرى في تفسير حركة التطور الحضارية والتاريخية ، وفي ضوء ذلك يسلط الفيلسوف غوستاف لوبون الضوء على تلك المسببات المختلفة لحركة التاريخ ، مع أنّهُ يرجح النظرية الاقتصادية لأهميتها البالغة في نظره فيقول: "**اختلفت العوامل التي وجهت نشاط الأمم في مختلف ادوار تاريخها ، فكانت عوامل حربية وعوامل دينية أو سياسية حيناً آخر ، وبين هذه العوامل المختلفة أي العرقية أو الدينية ... مثلت العوامل الاقتصادية دوراً لم تزل أهميته تعظم ، وقد بلغت هذه العوامل من النفوذ ما جعل أنصار المذهب المعروف بـ(المادية التاريخية) منها جوهر جميع الحضارات ...**"[2]، وفي ضوء ذلك يشير الفيلسوف ويد جري بأنّ "**نظرية ماركس القائلة بأن الناس في التاريخ إنما تدفعهم وتحددهم القوى الاقتصادية تحديداً لا مفر منه...**"[3]، وفيما ينظر بعض الفلاسفة إلى أنَّ "**النظرية المادية هي وحدها الكفيلة بتحقيق تقدم البشرية** "[4]، وأشار ابن خلدون أيضاً إلى أنَّ العامل الاقتصادي مسؤولٌ عن تغيير الأجيال البشرية سواء من الناحية السياسية أم الاجتماعية لقوله "**اعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنَّما هو باختلاف نحلتهم من المعاش**"[5].

وقد سلط الضوء بشكل واسع المؤرخ المصري تقي الدين المقريزي[6] في كتابه **النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم** ، وبحث فيه مفصلاً جذرية الصراع وغاياته وفلسفته عبر مراحله التاريخية المختلفة فتوصل إلى أن تاريخية الصراع والتخاصم (الأموي ـ الهاشمي) تعود إلى أعماق بعيدة وغايات متباينة اغلبها فسرت من الجانب الأموي بأنها مادية قبلية تبحث عن السيادة لتتزعم قريش آنذاك والآخر من جانب بني هاشم وعلى امتداد مراحلهم التاريخية بأنهم مثلوا الفلسفة الدينية والمثالية والأخلاقية ، ولا ننسى جانب الحسد نتيجة المكانة المرموقة سواء الاجتماعية أو الزعامة القبلية لبني هاشم من قبل الأمويين في حينه.

وعلى ضوء هذا الصراع المتجذر فقد فسر الإمام الصادق(عليه السلام)الصراع الأموي الحسيني على امتداد جذوره التاريخية وأفكاره وروافده وفق رؤية دينية خالصة قائلاً : "**إنا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله ، قلنا : صدق الله وقالوا : كذب الله . قاتل أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وآله وقاتل معاوية علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي عليهما**

السلام ، والسفياني يقاتل القائم عليه السلام"[7]، ويضيف المؤرخ الحلبي نصاً تكميلياً لرواية الصدوق جاء فيه : "**فجاء جبرئيل عليه السلام براية الحق فركزها بين أظهرنا ، وجاء إبليس براية الباطل فركزها بين أظهرهم"**[8]، وفي ضوء هذا التفسير يتبين لنا أصل الصراع بين الاتجاهين الحسيني والأموي ، وأنَّهُ اتخذ صوراً متعددة فهو يمثل صراعاً بين الديني والوثني وبين الحق والباطل وبين الصدق والكذب ويشير النص إلى أهمية العامل الديني وغايته حيث يحاول الأمويين تكذيب الله جل وعلا وما ينتج عن ذلك من نتائج عقيمة على المجتمعات من الانحطاط والابتذال وارتكاب المخالفات بشتى أنواعها وظلم الشعوب والهيمنة عليها وسلب إرادتها وغيرها من النتائج التي تعيق التقدم الإنساني والحضاري تسهم في عرقلة التقدم الحضاري ، وهذا خلاف فلسفة أهل البيت عامة والإمام الحسين(عليه السلام)خاصة في تصديق الله بمعنى الانسياق وراء الفكر الإلهي الذي بلا شك يشير إلى المنظور الإنساني والحضاري وهداية البشرية وتهذيبها وهو الحق بلا شك.

ويُنظر النص إلى صراع مستقبلي يتمثل في الخط السفياني ـ وهو يرمز إلى الفكر الأموي المادي الشيطاني ، على حين يجسد الإمام المهدي (عجل الله فرجه) الخط الحسيني الأخلاقي المثالي الإلهي ، والذي نستنتجه من ذلك كله أن الصراع بين هذين التوجهين أو الخطين سيستمر إلى زمنٍ بعيداً في نهاية التاريخ ، ومما لاشك فيه سينتصر الحق والمثالي والديني الإلهي على الشيطاني والباطل والمادي في نهاية التاريخ ، ومن الملاحظ تاريخياً أنه وفي كل المحطات التاريخية يتمثل الاتجاه المادي الشيطاني بصور وفلسفات ونظريات مختلفة منها المادية أو الوثنية أو الإلحادية أو العنصرية أو غيرها من التفسيرات والتأويلات والصور الأخرى.

كما ويؤسس النص أنف الذكر إلى مسألة تاريخية في غاية الأهمية ألا وهي أنَّ فكرة الحق وفلسفته هي في خط أهل البيت (عليهم السلام) وعلى طول المراحل التاريخية ، على حين يمثل الاتجاه الأموي ومن يعتقد بفلسفته راية الباطل وعلى طول التاريخ وفي أزمانه وأوقاته المختلفة ، مما ينتج عن ذلك اتجاهين مختلفان ومتناقضان في الأسس والأصل الديني والفكري والفلسفي مما ولد صراعاً على طول التاريخ ، وسيتخذ هذا الصراع اشكالاً وصوراً متعددة ومختلفة في المظهر والمضمون والنظرية والتطبيق.

ومن الملاحظ أنَّ المتتبع للروايات والأحداث يجد أنَّ فلسفة الحكم الأموي قائمة على أسس مادية بحتة بعيداً عن المثالية أو الدينية ، وقد أعلنها بشكل صريح الجد الأعلى لهم أبو سفيان حينما استشهد النبي (صلى الله عليه واله) وهو يخاطب الأسرة الأموية ويرسم لها مستقبلها السياسي آنذاك بقوله : " **تلقّفوها الآن تلقّف الكرة فما من جنّة ولا نار"**[9]،ويشير الطبري إلى أبعد من ذلك مما كان ينظر له أبا سفيان بقوله " **اللهم أجعل الأمر أمر جاهلية والملك ملك غاصبية واجعل أوتاد الأرض**

لبني أمية"[10] ، أو ما ذكره المسعودي ما قاله أبو سفيان في مناسبة أخرى **"يا بني أمية ، تَلَقَّفُوها تلقُّفَ الكرة ، فو الذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرَنَّ إلى صبيانكم وراثة ..."[11].**

ومن خلال تحليل تلك النصوص نستنتج منها عدة نقاط جوهرية تساعدنا في بيان طبيعة فلسفة الحكم الأموي وفي ضوء أي نظرية أو مفهوم يحكم الشعوب آنذاك ؟ وكيف كان ينظر للسلطة والمجتمعات آنذاك معاً ؟ ، ومنها :-

1/ إنَّ فلسفة الحكم وفق التنظير الذي تبناه أبو سفيان ـ وهو بلا ريب تبنته الدولة الأموية فيما بعد ـ هو إعادة التجربة الجاهلية في كل جوانب الحياة ومفاصل الحكم بعيداً عن الدين والأخلاق والإنسانية .

2/ أشار أبو سفيان إلى أن طبيعة الحكم الذي يرمون إليه مستقبلاً هو وراثي مغتصب ولا يستند إلى أي شرعية سواء كانت دينية أم شعبية جماهيرية وإنما وراثية مغتصبة.

3/ أنكر أبو سفيان الأسس التي هي من مرتكزات الدين الإسلامي من قبيل الجنة والنار، وهذه سابقة خطيرة في الانقلاب الديني الاجتماعي ومدى التحلل والتفسخ والأفكار السيئة التي ستتبناها السلطة الأموية مستقبلاً التي تؤدي بلا شك إلى تفكك المجتمعات وانهيارها آنذاك.

ومن المناسب الاشارة هنا إلى تحليل الأديب والمفكر عباس العقاد عن خلفيات وجذرية الصراع الأموي الهاشمي بقوله : " **قبل أنْ يقف الحُسين ويزيد متناجزين ، كانت الحوادث قد جمعت لهما أسباب التنافس والخصومة منذ أجيال ، وكان هذا التنافس بينهما يرجع إلى كلّ سبب يوجب النفرة بين رجلين من العصبية ، إلى التراث الموروثة ، إلى السّياسة ، إلى العاطفة الشّخصية ، إلى اختلاف الخليقة والنشأة والتفكير تنافس هاشم وأُميّة على الزعامة قبل أنْ يولد معاوية فخرج أُميّة ناقماً إلى الشّام وبقي هاشم منفرداً بزعامة بني عبد مُناف في مكّة . فكان هذا أوّل انقسام وتقسيم بين الأُمويّين والهاشميين..."[12]** .

وهناك تحول خطير في نظام الحكم الذي احدثه معاوية بن أبي سفيان بأنهُ **"أول من أعاد هذا الامر ملكا . وكان ... يقول : أنا أول الملوك"[13]** وهذا بلا شك يدل على أنَّ طبيعة الحكم ملكية مادية وليس دينية تستند على خلافة إلهية ، كون تطبيق النظام الملكي يستلزم موارد واقتصاديات كبيرة لما له من مستلزمات وترتيبات مختلفة ومتنوعة وهذه بلا شك تحتاج أموال طائلة لإدارتها وإنمائها ، فضلاً عن الانقلاب الذي سببه معاوية بالتحول من نظام الشورى الذي عمل به طيلة العصر الراشدي إلى الملكي ، مما يعني الابتعاد عن الطابع الديني والاقتراب من الطابع المادي الملكي أضافة إلى النتائج الخطيرة الأخرى التي يتركها هذا التحول سواء على الصعيد السياسي أم الديني أم حتى الاجتماعي .

ويحلل الباحث إبراهيم بيضون عملية تحول نظام الحكم من الشورى إلى الوراثة والتغييرات التي رافقت هذا التحول بقوله من أنَّ معاوية عمل على تحويل الخلافة إلى "**ملك وراثي بعد تنازل الحسن، سقطت آخر معاقل الخلافة الراشدية، وبدأت مرحلة جديدة في تاريخ الإسلام مختلفة تماماً في أبعادها ومناهجها عن المرحلة السابقة. ولقد كان هذا الأخير يمتلك طموحا بعيدا، فانصرف بكل ما أوتي من جهود إلى بناء مجتمع جديد ، مطبوع بشخصيته الميكافيلية ، ومتأثر برواسبه القبلية إلى أبعد حدود التأثر... وقد رأى في تجارب الخلفاء الذين سبقوه، والأزمات التي مرت بها الخلافة، مسوغاً لإحداث تغييرات أساسية في نظام الحكم، بتحويله من نظام قائم على الشورى إلى ملكي أوتوقراطي أو بمعنى آخر من حكم إسلامي ديني إلى سياسي دنيوي**"[14].

وقد نبه الإمام الحسن (عليه السلام) على هذه الخطورة في تحول السلطة السياسية في نظام الحكم نحو الملوكية المادية ، ونجد ذلك واضحاً في المناقشة التي جرت بين معاوية و الإمام الحسن(عليه السلام) حينما قال" **أنا ابن الشفيع المطاع ، أنا ابن من قاتلت معه الملائكة ، أنا ابن من خضعت له قريش ، أنا ابن إمام الخلق وابن محمد رسول الله . فخشي معاوية أن يفتتن به الناس ، فقال : يا أبا محمد انزل ، فقد كفى ما جرى . فنزل ، فقال له معاوية : ظننت أن ستكون خليفة ، وما أنت وذاك . فقال الحسن : إنما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة رسوله فخشي معاوية أنْ يفتتن به الناس ، فقال : يا أبا محمد انزل ، فقد كفى ما جرى . فنزل ، فقال له معاوية : ظننت أنْ ستكون خليفة ، وما أنت وذاك . فقال الحسن : إنما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة رسوله ، ليس الخليفة من سار بالجور ، وعطل السنن ، واتخذ الدنيا أبا وأما ، ملك ملكا متع فيه قليلا ، ثم تنقطع لذته ، وتبقى تبعته**"[15].وعند تحليل النص نستنتج عدة ملاحظات ونتائج جوهرية ، منها :

1/ يتضح لنا أنَّ معاوية مارس أسلوب الإقصاء الفكري والسياسي تجاه الإمام الحسن (عليه السلام) فضلاً عن خداعهِ للرأي العام من خلال تغيبه للحقائق والمعلومات ، وذلك بأنَّه منع الإمام (عليه السلام) من الاستمرار بالحديث وأنزله من المنبر ؛ كي لا يواصل في تعريف الرأي العام بمنزلته الشريفة ومؤهلاته القيادية سواء على الصعيد السياسي أم الاجتماعي .

2/ إن الإمام الحسن (عليه السلام) عرف الرأي العام آنذاك بوجوب التفريق من ناحية تحديد طبيعة الحكم وعدم الخلط بين النظرية السياسية والدينية إذ تتمثل الأولى بالملوكية السياسية بينما الثانية بالخلافة الربانية والتي حدد أهم واجباتها الأساسية العمل بكتاب الله وسنة رسوله وهاتان الصفتان فاقد لهما معاوية بشكل كامل ؛ كونه يسير وفق نظام ملكي سياسي لا تربطه صلة بالجانب الديني ولا يمثل صفة خليفة الله في الأرض ولا يعمل بنظام الشورى الذي كان سائداً قبله.

3/ شخَّصَ الإمام الحسن (عليه السلام) طبيعة حكم معاوية ونتائجه على المجتمعات وتبعاته الدنيوية والآخروية المتمثلة بانتشار الجور، وتعطل السنن ، واتخاذ الدنيا أباً وأماً ، ملك ملكاً متع فيه قليلا ، ثم تنقطع لذته ، وتبقى تبعته .

وفي ضوء هذا العامل المادي تخلص معاوية بن أبي سفيان من الإمام الحسن (عليه السلام) عن طريق إغراء زوجته جعدة بنت الأشعث بأساليب مادية خالصة والأخيرة نفذت العملية نتيجة وقوعها أسيرة الطمع الاقتصادي ، ونص ذلك ما ذكره ابن أعثم الكوفي بقوله : " **ولما وصل خبر وفاة أمير المؤمنين الحسن إلى معاوية أرسل الجائزة التي كان وعد بها جعدة ولكنه رفض تزويج يزيد منها . ثم تزوجها أحد أبناء طلحة وأولدها أولاداً كان كثيراً ما يقع بينهم وبين القريشيين جدال حتى قيل لهم : يا أبناء سمحة الأزواج**"[16]، وهذا ما يشير إلى دهاء معاوية في توظيف العامل المادي في سياسته من أجل تثبت حكمه والتخلص من منافسيه أو منتقديه أو معارضيه ؛ لإيمانه بجدوى وفاعلية هذا العامل في المجتمع ؛ نتيجة حاجة الناس إليه لسد بعض احتياجاتهم المختلفة ولضعف عقيدتهم الدينية والأخلاقية .

وكما نجد تلك الفلسفة واضحة في سياسة يزيد بن معاوية تجاه أنصاره وذلك من خلال تحريكهم مادياً ضد الإمام الحسين (عليه السلام) واستعمال المال السياسي وسيلة لإقناعهم ، وهذه أحدى قياداته تشير إلى هذا المعنى قائلاً : " **كتب إلي يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ومائتي ألف درهم أفرقها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين بن علي ، فاسمعوا له وأطيعوا – والسلام**"[17]. أو ما نجده في تبنيه سياسة الترغيب المادي والمالي معاً مع عمر بن سعد ـ أحد القيادات العسكرية في واقعة الطف آنذاك ـ بقوله له : "**فإنْ فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل ولك عندي الجائزة والحظ الأوفر والنعمة واحدة والسلام**"[18].

ومن خلال ذلك نستشف أن يزيد بن معاوية قد تبنى في إدارته للسلطة السياسية النظرية المادية الاقتصادية في تحركاته التاريخية ، وأنَّ النظرية الاقتصادية أشبه ما تكون بالجبرية أو الحتمية في تحقيق التقدم بغض النظر عن توفر بقية العوامل والمسببات الأخرى ، وهذا لا يمكن التسليم به بشكل مطلق حيثُ من غير المنطقي إهمال وإلغاء بقية محركات التقدم وعوامله المختلفة ولاسيما النفسية ، والاقتصار على عامل واحد فقط.

ولم يغب العامل الاقتصادي في الفكر الحسيني بوصفه محركاً ودافعاً لتلك الثورة من ناحية إصلاحه في المجتمع آنذاك ، حيث كانت الأوضاع تعاني من تفاقم مسألة الاستحواذ السلطوي والطبقية والفقر والحرمان مما أسهم ذلك في إفساد المجتمع مع عوامل ومبررات أخرى لذا خاطبهم الإمام الحسين (عليه السلام) قائلاً منتقداً سياساتهم واساليبهم قائلاً "**تباً لكم أيتها الجماعة وترحا ... أسرعتم**

إليها كطيرة الدبا وتداعيتم إليها كتهافت الفراش فسحقاً يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الآثام ونفثة الشيطان ومطفئي السنن أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون ... ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة..."[19].

ونستطيع أن نقول إنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) كان يبغي إحداث اصلاح أخلاقي في المجتمع الاسلامي وأنَّه قد شَخّصَ انحرافاً كبيراً في المجتمع جراء سياسات السلطة المنحرفة واساليبها غير الأخلاقية ومنها الاستبداد السياسي والظلم الذي نتج عنه الإفساد بكل أصنافه بقوله "**وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله**"[20] كيف اظهروا الفساد لولا وجود تسلط سياسي وإمكانات كبيرة ومنهجية قد أثرت على المجتمع بشكل أو بآخر ، وفي كلام الإمام (عليه السلام) دلالة واضحة على تفشي الفساد وانحلال الاخلاق في المجتمع والتي نتج عنها تعطيل الحدود ، التي هي الأخرى ستؤثر على الاخلال بالمجتمع نتيجة إحلال الفوضى الأخلاقية لأن من مستلزمات تعطيل الحدود انتشار الفساد والظلم وعدم إقامة العدل وهذه جميعها بلا شك من معوقات التقدم الإنساني في المجتمع ، اضف إلى ذلك أن الإمام (عليه السلام) قد أشار إلى مسالة في غاية الأهمية ألاّ وهي الفقر والخلل الاقتصادي في المجتمع لقوله "**واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله**"[21] ، وهنا يريد أن يشخص الإمام مدى استئثار السلطة بالموارد الاقتصادية على حساب المجتمع وهذا بلا شك يخلق طبقية اجتماعية مما يسبب تفكك المجتمع من خلال إحداث الفوارق الاقتصادية والتي ينتج عنها الطبقية الاجتماعية التي تسبب فسادا اجتماعيا وانهياراً اخلاقياً لما تفرزه من نتائج سلبية تهدد الكيان الاجتماعي والسلم المجتمعي معاً ويصبح المجتمع مفككاً ومتحللاً أخلاقياً كون الفقر يفسد البنية الاجتماعية ويضر بها ، وقد أضرت السلطة آنذاك بالعامل الاقتصادي للمجتمع بفعل سياساتها وفلسفتها القائمة على أساس تفقير المجتمع وإشغاله بتلبية سبل عيشه ، عما يحيط به ، وينمي فكره ويغذي روحه ، وقد أشار المفكر روجيه غارودي إلى فلسفة هذا التفاوت المقيت وآثاره الوخيمة على المجتمعات ونتائجه السلبية بقوله: "**يؤدي التفاقم في التفاوت وعدم المساواة إلى انهيار المجتمع والحضارة**"، وهذا ما يفسر لنا فلسفياً تركيز الإمام (عليه السلام) على هذه العوامل ومحاولة تصحيحها لما لها مساس بالجانب المجتمعي والحضاري.

وقد سلط أحد الباحثين الضوء على ما كان يعانيه المجتمع آنذاك من التدهور الاقتصادي قبيل ثورة الإمام (عليه السلام) والثراء السلطوي بقوله "**وانهار الاقتصاد الذي هو شرايين حياتها الاجتماعية والفردية فقد عمد الأمويون بشكل سافر إلى نهب الخزينة المركزية وقد أخذوا ينفقون الأموال على أغراضهم السياسية التي لا تمت بصلة لصالح الأمة ...**"[22].

وفي ضوء ذلك نخلص إلى نتيجة مفادها أن العامل الاقتصادي الاصلاحي كان من العوامل الاساسية التي شخصها الإمام في ثورته إيماناً منه بأهمية هذا العامل ومدى خطورته على بقية العوامل الأخرى سواء أكانت اجتماعية أم سياسية ، وهذا ما أشار إليه الفيلسوف محمد باقر الصدر وهو يوضح لنا أهميته بقوله : "**يتغير الوجه الاقتصادي للمجتمع . من سياسة ، وأفكار ، بدوره ، يزعزع كل البناء العلوي الهائل للمجتمع ، من سياسة ، وأفكار ، وأديان ، وأخلاق لأن هذه الجوانب كلها ، كانت تقوم على أساس الوضع الاقتصادي . فإذا تبدل الأساس الاقتصادي ، تغير وجه المجتمع كله** ..."[23]ولاسيما أنَّ السلطة الحاكمة قد تحكمت فيه بشكل كبير مما يؤثر ذلك سلباً على المجتمعات الأمر الذي جعل من الثورة الحسينية أنْ تجعله من أولوياتها وأهدافها الأساسية.

ورسمت المادية صورتها الواضحة بفعل الدافع الاقتصادي في تحريك بعض النفوس وانتصارها على الأخلاقيات الأخرى وهذا ما نجده في خطاب برير بن حضير مع أحد قيادات الجيش الأموي وهو عمر بن سعد التي علت فيها المادية المقيتة ورسخت في نفسها جلياً حينما نازعت نفسها بين قتل المثالي – وهو الإمام الحسين (عليه السلام) أو انتصار المادي – وهو ملك الري– ولاشك في ذلك الموقف قد تفوقت المادية بشكل كبير نتيجة عوامل نفسية وعقدية واجتماعية كان يعاني منها القائد عمر بن سعد آنذاك ، وقد أشار إليه برير بعدم الاقدام على قتل سبط الرسول (ص) كونها جريمة لا تغتفر وفيها انتصار للتيار المادي على الإلهي فكان جوابه ينم على دافع مادي اقتصادي بقوله "**أتشير علي أن أترك ولاية الري فتصير لغيري ؟ ما أجد نفسي تجيبني إلى ذلك أبدا ، ثم أنشأ يقول :**

دعاني عبيد الله من دون قومه * إلى خطة فيها خرجت لحيني

فو الله لا أدري وإني لـــــواقف * على خطر بعظم على وسيني

أأترك ملك الري والري رغبـــــة * أم أرجع مذموما بثأر حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها * حجاب وملك الري قرة عيــن

قال : فرجع برير بن حضير إلى الحسين فقال : يا بن بنت رسول الله ! إن عمر بن سعد قد رضي أن يقتلك بملك الري"[24] .

ونتيجة لسطوة المادية لدى رجالات الدولة الأموية فلم ترعى للدين قدسية ولم تحترم شعائره بل لم تحترم إبجديات الاعراف العسكرية وذلك من خلال إقدامها على بدأ القتال ومحاربة الحسين واصحابه وهم يؤدون فريضة الصلاة الظهر إذ أمر الامام الحسين (عليه السلام) "**زهير بن القين وسعيد بن عبد الله الحنفي أن يتقدما أمامه بنصف من تخلف معه ثم صلى بهم صلاة الخوف فوصل إلى الحسين**

(عليه السلام) سهم فتقدم سعيد بن عبد الله الحنفي ووقف يقيه بنفسه ما زال ولا تخطى حتى سقط إلى الأرض وهو يقول اللهم العنهم لعن عاد وثمود اللهم أبلغ نبيك عنى السلام وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح فإني أردت ثوابك في نصر ذرية نبيك ثم قصي نحبه رضوان الله عليه فوجد به ثلاثة عشر سهما سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح"[25]

وحينما تكافئ السلطة قادتها مادياً واقتصادياً نتيجة عدم إنسانيتهم فهذه سابقة خطيرة ونجد تطبيق ذلك واضحاً عندما أقدم مجموعة من الفرسان على وطء صدر الإمام الحسين (عليه السلام)**"بحوافر خيلهم حتى رضوا ظهره وصدره وجاء هؤلاء العشرة حتى وقفوا على ابن زياد فقال أسيد بن مالك أحدهم : – نحن رضضنا الصدر بعد الظهر * بكل يعبوب شديد الأسر – فقال ابن زياد من أنتم قالوا نحن الذين وطئنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحنا جناجن صدره فامر لهم بجائزة يسيرة"**[26]وهنا يلاحظ أنَّ السلطة قد تعاملت مع قادتها وجنودها في تنفيذ المهام وفق فلسفة العامل المادي بوصفه محركاً جوهرياً في تحريك نفوس هؤلاء وجعلهم طائعين وخانعين لها وإلّا ماذا يفسر بأنْ تأمر لهم الدولة بالجوائز وتحديداً اليسيرة ، أضف لذلك أن تبني هذه الفلسفة من شأنه أنْ يجعل هؤلاء أو غيرهم أكثر وحشية ودموية في تنفيذ القرارات والمهام ، مما يعني مزيداً من الدماء والظلم وهذا ما كانت تهدف إليه الدولة الأموية بلا شك ، بأن تجعل أناس متعطشين للدماء تحت غريزة العامل المادي.

ونجد صورة أخرى من انتصار التيار المادي في واقعة الطف وتحريك الحدث بفعله هو عندما **"أقبل سنان بن أنس النخعي(لعنه الله) حتى أدخل رأس الحسين بن علي (عليهما السلام) على عبيد الله ابن زياد (لعنه الله) وهو يقول :**

املأ ركابي فضة وذهبا * * إني قتلت الملك المحجبــا

قتلت خيرا الناس أماً وأبا * * وخيرهم إذ ينسبون نسبـا

فقال له عبيد الله بن زياد : ويحك ! فإن علمت أنه خير الناس أبا وأما ، لم قتلته إذن ؟ ! فأمر به فضربت عنقه ، وعجل الله بروحه إلى النار"[27]،على حين ذكر القاضي النعمان تلك الحادثة مع تغيير ببعض الشخوص بقوله : **"وأجهز خولي بن يزيد الأصبحي بن حمير ، واحتز رأسه ، وأتى عبيد الله بن زياد ، فقال : إملأ ركابي فضة وذهبا * إني قتلت السيد المحجبا**

قتلت خير الناس أما وأبا"[28].

وعلى الرغم من الاختلاف بين الروايتين في تحديد هوية الشخص المباشر في عملية القتل ، فقد أشارت بعض المصادر إلى اشتراك الطرفين في جريمة القتل[29]. ،وعند تحليل هذه الجريمة في الصراع بين المادي والمثالي نجد عدة نقاط جوهرية في تفسير هذه المواقف وتشخيصها .

1/ أن هناك صراعاً حقيقياً بين التيار المادي المتمثل بالدولة الأموية والتيار المثالي الأخلاقي المتجسد بالثورة الحسينية ، ومما لا شك فيه أن مشروع التيار المادي ظاهرياً ومادياً قد حقق هدفه في الانتصار وفق نظريته المادية المؤقتة آنذاك.

2/ إنَّ التيار المادي ومن خلال قياداته ووفق النص أنف الذكر كان يعرف منزلة الإمام الحسين ومكانته ولكن الدافع الذي كان وراءهم أقوى من معتقدهم أو فلسفتهم التي يدينون بها بحيث انتصر عليهم في نهاية المطاف وأقدموا على قتل إمام زمانهم قبال شدة فاعلية المغريات المادية في نفوسهم .

3/ ومن الملاحظ أيضاً أنَّ هؤلاء القادة فور ارتكابهم الجرائم تلك طلبوا من الدولة المكافأة المادية التي تجسدت آنذاك بالذهب أو الفضة ، وهذا ما يفسر لنا أنَّ الدافع الحقيقي والأهم والأبرز لاشتراك هؤلاء في واقعة الطف كان السبب المادي بالدرجة الأساس فيما بقية العوامل تأتي تباعاً من حيث الأهمية والأولوية .

وآخر ما نسلط الضوء عليه في حاكمية العامل المادي في حركة رجالات السلطة الحاكمة وقادتهم آنذاك هو ما تعرض له أهل البيت (عليهم السلام) من عملية السلب والنهب والسرقات والتي تنم عن غريزة سادية ومادية بحتة ، من حيث أنهم "**أقبلوا على سلب الحسين فأخذ قميصه إسحاق بن حياة الحضرمي ، وأخذ سراويله أبجر بن كعب ، وأخذ عمامته أخنس بن مرثد ، وأخذ سيفه رجل من بني دارم ، وانتهبوا رحله وإبله وأثقاله وسلبوا نساءه...**"[30] .

وهنا نتساءل عن الدافع الذي يقف وراء هذه السرقات التي تعرض إليها الإمام الحسين(عليه السلام) وأهل بيته ، فكيف لهم أن يفعلوا هذه الفعلة مع الإمام وهو قد فارق الحياة وبالإمكان طرح عدة عوامل تفسر هذه الجريمة ، منها العامل النفسي السادي حيث أنهم رضوا صدره وظهره حقداً وتشفياً ولم يكن الداعي لهذا الفعل إلاّ عوامل نفسية مريضة ، كما شكلت روح الوحشية والبداوة والجاهلية والحقد والتشفي وإلا بماذا يُبرر سلب سروال إمام وكذلك عمامته وثيابه مع الأخذ بنظر الاعتبار أن ثيابه (عليه السلام) قد مزقت من طعن الرماح وضرب السيوف ، وربما كانت تعليمات القيادة هي من طلبت ذلك ، كما كان العامل المادي حاضراً هذه القضية ولاسيما أن المسروقات كانت كبيرة وذات قيمة مالية حيث أشار النص إلى سرقة ونهب الإبل والأثقال والرحل بأجمعه فضلاً عن المقتنيات الأخرى ، وهذا مما لا شك فيه كان ذا قيمة مادية كبيرة ، وعلى اختلاف تلك العوامل والتفسيرات فالجريمة واضحة ولا تمت

للإنسانية بصلة ولا من اخلاقيات الحروب والمعارك ولا من أعراف الأمم والشعوب ولاسيما العادات العربية الاصيلة .

وخلاصة ما عرضناه نستشف مدى فاعلية العامل المادي في صراع الأمويين ومن سار باتجاههم مع خصومهم ومعارضيهم ، وكيف استطاعوا أن يوظفوا هذا العامل في السيطرة على نفوس وعقول بعض الناس ويجعلوهم ينفذون ما يخططون له ، مما يدلل ذلك بأن الامويين تبنوا النظرية المادية في حركتهم التاريخية بشكل أو بآخر ، وحققوا من خلالها مكاسبهم السياسية والاجتماعية والعدوانية السادية لاسيما في صراعهم مع أهل البيت (عليهم السلام)

المبحث الثاني / فلسفة الثورة الحسينية في ضوء النظرية المثالية

فسرت النظرية المثالية بالعديد من الآراء والتأويلات ولاسيما في المفهوم الفلسفي على ضوء مضامينها وموضوعاتها ودائرة بحثها سواء على مستوى الوجود أو الفكر[31] ، والذي يعنينا أو الذي نقصده في دراستنا هذه هو تفسير حركة التاريخ من أحد جوانبها وهي المثالية الأخلاقية بمعنى جعل تفسير التاريخ وفق المثالية الإنسانية ورفعتها سواء في مجالها الديني أو الاخلاقي وكما أشار الفيلسوف الالماني إيمانويل كانت أو إيمانويل كانط (بالألمانية: Immanuel Kant) (1724 – 1804). إلى هذا المعنى وهو يتحدث عن المثالية الالمانية التي في أحد جوانبها تؤكد على البحث في الفلسفة الخلقية وتشير إلى الصلة الوثيقة بين الاخلاق والدين[32] أي ضبط حركة التاريخ وفق هذين المفهومين دون اعطاء دور أو فاعلية للجوانب المادية في حركة الانسان التاريخية ، وهذا ما نجده واضحاً في حركة الثورة الحسينية التي جسدت المثالية الأخلاقية والإنسانية في كل مجالاتها الدينية والاجتماعية والسياسية والفكرية بأسمى صورها وأبهى معانيها ، خلافاً للدولة الأموية التي نجد المادية هي المحرك الاساس في فاعليتها ومجمل سلوكياتها وحركتها التاريخية مما نتج عن الاختلاف في هذين الفلسفتين صراعاً نتج عنه واقعة الطف التي نحن بصدد دراستها

وأن الغاية من تبني الإمام الحسين (عليه السلام) هذه الفلسفة ؛ هو إيماناً منه بفاعلية تلك الفلسفة كونها تسهم في بناء الانسان والمجتمع معاً كما صرح لوبون في أن الاخلاق هي خلاصة وعصارة الماضي للإنسان والأمم وأحد عوامل تقدمها بقوله : "**الصفات الخلقية التي من اقرانها روح الشعب هي عنوان لخلاصة ماضيه وتراث اجداده وعوامل سيره...**"[33]،ويتجلى هذا المفهوم أكثر في فلسفة الإمام الحسين(عليه السلام) تجاه مبدأ الاخلاق وضرورة نشرها في المجتمع والحث عليها كونها تبنيه فكرياً وعقلياً ونفسياً لقوله : "**أيها الناس نافسوا في المكارم ، وسارعوا في المغانم (ولا تحتسبوا بمعروف)لم تعجلوه ، واكتسبوا الحمد بالنجح ، ولا تكتسبوا بالمطل ذما ، فمهما يكن لاحد عند أحد صنيعة له رأى أنه لا يقوم بشكرها فالله له بمكافاته ، فإنه أجزل عطاء وأعظم اجرا واعلموا أن حوائج**

الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتحور نقماً واعلموا أن المعروف مكسب حمدا ومعقب أجرا فلو رأيتم المعروف رجلا رأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين ولو رأيتم اللؤم رأيتموه سمجا مشوها تنفر منه القلوب وتغض دونه الأبصار أيها الناس من جاد ساد ومن بخل رذل وأن أجود الناس من أعطى من لا يرجو وان أعفى الناس من عفى عن قدرة وان أوصل الناس من وصل من قطعه والأصول على مغارسها بفروعها تسموا فمن تعجل لأخيه خيرا وجده إذا قدم عليه غدا ومن أراد الله تبارك وتعالى بالصنيعة إلى أخيه كافأه بها في وقت حاجته وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو أكثر منه ومن نفس كربة مؤمن فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة ومن أحسن الله إليه والله يحب المحسنين[34]".

وعند تحليل هذه الخطبة نجدهُ (عليه السلام) يؤكد على اشاعة ثقافة المكارم الأخلاقية والتعاون الانساني ونشرها في المجتمع بكل أصنافه واطيافه وغرس أخلاقية الاحترام والتسامح والتعاون وقضاء حاجات أبناء المجتمع بكل اشكالها، ويبدو أنَّ نشر هذه الثقافات في المجتمعات تسهم في تقدمه إنسانياً وحضارياً وثقافياً.

ونجد المثالية واضحة بكل صورها ومعانيها وفلسفتها في موقف الإمام الحسين (عليه السلام) من خصمه حينما سقاه الماء ونص ذلك " **وجاء القوم زهاء ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين عليه السلام في حر الظهيرة ، والحسين وأصحابه معتمون متقلدوا أسيافهم ، فقال الحسين عليه السلام لفتيانه : "اسقوا القوم وأرووهم من الماء ، ورشفوا الخيل ترشيفا" ففعلوا وأقبلوا يملؤون القصاع والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس ، فإذا عب فيها ثلاثا أو أربعا أو خمسا عزلت عنه وسقوا آخر ، حتى سقوها كلها**"[35].

وفي حركة مثالية أخرى رائعة يجسدها سفير الإمام الحسين (عليه السلام) مسلم بن عقيل (عليه السلام) في أصعب وأخطر المواقف ، التي كان من الممكن لهُ توظيفها واستغلالها لصالح الثورة الحسينية وتحقيق النصر العسكري آنذاك ، موقفهُ من الوالي عبيد الله بن زياد الذي كان في متناول مسلم بن عقيل (ع) ولاسيما وقد تهّيأت له فرصة قتله والتخلص منهُ داخل دار هانئ بن عروة ، ولكنه (عليه السلام) رفض ذلك ، وحينما سُئل عن السبب في امتناعه عن قتل خصمه فقد أجاب بأن ذلك يرجع إلى "**خصلتان أما إحداهما فكراهة هانئ ان يقتل في داره وأما الأخرى فحديث حدثه الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الإيمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن فقال هانئ أما والله لو قتلته لقتلت فاسقا فاجرا كافرا غادرا...**"[36].

وعند تفسير ذلك فلسفياً نجد أن الفلسفة المثالية الأخلاقية العالية التي تحلى بها القائد مسلم بن عقيل (عليه السلام)هي من رسمت تحركاته والتي تبناها في مجمل افعاله وسلوكياته هي التي منعته من قتل خصمه وعدوه ، ولاسيما أن مسلم استدل بحديث رسول الله (ص)**إن الايمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن** والمراد من هذا القول " **أن الانسان المؤمن يمتنع لأجل إيمانه أن يسفك الدم الحرام طاعة لأمر الحمية ، وركوبا لسنن الجاهلية ، فكأن إيمانه قد فتكه فتماسكه ، وضبط تهالكه**"[37] ، وهذه دلالة واضحة على صلابة إيمان مسلم (ع) وقوته الروحية ،

وفي ضوء ذلك كله نستشف درساً عميقاً في اخلاقيات الحروب والخصومات من أن الاخلاق والمثالية لا يمكن تركها في اصعب المواقف حتى وأن كانت في الحروب والنزاعات وأن يكون الانسان ذو مبادئ وقيم وأخلاق لا يتخلى عنها أبداً .

على حين تتجسد فلسفة الخير في الثورة في إنسانيتها المثالية على خلاف فلسفة السلطة الأموية المادية حينما تعبر الحدود الدينية وتجعل من الاديان وحدة إنسانية متكاملة هدفها ووظيفتها اصلاح البشرية وتمني الخير لها ونصرة الحق ، بغض النظر عن الانتماء الديني العقدي أو حتى الطائفي ، وهذا ما وجدناه مثالاً حياً في حركة الإمام الحسين(عليه السلام) التاريخية تجاه أحد النصارى وموقفه منه ، ونص ذلك "**وبرز من بعده وهب بن وهب وكان نصرانيا أسلم على يدي الحسين هو وأمه فاتبعوه إلى كربلاء ، فركب فرسا ، وتناول بيده عود الفسطاط ، فقاتل وقتل من القوم سبعة أو ثمانية ثم استؤسر ، فأتي به عمر بن سعد فأمر بضرب عنقه فضربت عنقه ورمي به إلى عسكر الحسين عليه السلام وأخذت أمه سيفه وبرزت فقال لها الحسين : يا أم وهب اجلسي فقد وضع الله الجهاد عن النساء ! إنك وابنك مع جدي محمد صلى الله عليه وآله في الجنة**"[38].

إنَّ هذه الحركة التاريخية التي جسدها الإمام الحسين (عليه السلام) في موقفه من وهب النصراني وتفاعله معه تشير إلى فلسفة الإيمان بوحدة الأديان بوصفها عقيدة إلهية ثابتة لكن هذه الفلسفة التي من شأنها أن ينتج عنها حركة تقدمية تتمثل في نشر قيم المحبة والتعايش السلمي والسلام التي غيبت أو ضعفت بفعل سياسات الدولة الأموية التي نشرت الرعب والخوف والتسلط في المجتمع ، وبهذا فإنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) قد وظف هذه الحادثة ليكسبها بعداً اخلاقياً ودينيا والاثنان يسهمان في التقدم والفكر، وهذا ما ذهب إليه الفيلسوف ألفرد نورث هوايتد ما نصه "**أن الدين ... هو نظام حياة يتمتع بالفكر المستنير وبالتركيز على السلوك من أجل غاية عليا تقتضي مصيراً اخلاقياً ...**"[39].

كما أنَّ فلسفة الإمام (عليه السلام) من وراء هذه الحركة الإنسانية كان يهدف إلى الاعتراض على الفلسفات الاخرى التي تريد اظهار الديانات السماوية على أنَّها دياناتٍ مُتنافرةٍ متصارعةٍ

يُنكر بعضُها بعضًا، ويُكفِّر بعضُها بعضًا، فكلُّ أتباع دينٍ بما لديهم فرحون !على حين أنَّ الديانات كلها من أصل الهي واحد يهدف إلى أسعاد البشرية وتهذيبها نفسياً واجتماعياً وفكرياً بغية أن تأخذ دورها في رسم حركة التاريخ وتقدمه .

عندما تسمو النفوس وتتجلى عظمتها ينتج عنها مضامين فلسفية مثالية عالية يتجسد ذلك في قول الإمام الحسين (عليه السلام) حينما رخص أنصارهُ في أصعب المواقف عسكرياً ، وكان في أمس الحاجة اليهم من الناحية العسكرية التنظيمية، ومع ذلك كله منحهم الحرية المطلقة في الذهاب وتركه وحيداً للنجاة بأنفسهم قائلاً لهم "**اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين ، أما بعد : فإني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي ، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خيرا ، ألا وإني لأظن أنه آخر يوم لنا من هؤلاء ، ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني ذمام ، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا ، فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر : لم نفعل ذلك ؟ ! لنبقى بعدك ؟ ! لا أرانا الله ذلك أبدا . بدأهم بهذا القول العباس بن علي رضوان الله عليه واتبعته الجماعة عليه فتكلموا بمثله ونحوه . فقال الحسين عليه السلام : يا بني عقيل ، حسبكم من القتل بمسلم ، فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم . قالوا : سبحان الله ، فما يقول الناس ؟ ! يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا – خير الأعمام ، ولم نرم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برمح ، ولم نضرب معهم بسيف ، ولا ندري ما صنعوا ، لا والله ما نفعل ذلك ، ولكن (تفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا) ، ونقاتل معك حتى نرد موردك ، فقبح الله العيش بعدك**"[40].وعند قراءة هذا النص فلسفياً ينتج عنه عدة نقاط ومضامين ومفاهيم جوهرية مهمة منها :

1/ أشار الإمام (عليه السلام) إلى فلسفة الدين وأهميته في سير حركة التاريخ والحياة الإنسانية حامداً الله وشاكراً العناية الإلهية التي جعلت النبوة منهم بوصف جده المصطفى (صلى الله عليه واله) خاتماً للأنبياء (عليهم السلام).

2/ وصف أصحابه بالمخلصين والمثاليين في وفائهم وتشخيصاً في واقعة الطف وتضحيتهم النبيلة والتي هي على حد قوله (عليه السلام) تجربة فريدة من نوعها لا يقاس بها أي من التجارب التاريخية السابقة وتحديداً في فلسفة الفداء والتضحية والمثالية في العمل من أجل المبادئ والدين والمعتقد ، وهذا يدلل على أنَّ فلسفة الثورة الحسينية كانت تستهدف بالدرجة الأساس كرامة الإنسان وإرادته من كل القيود ، وهذه إحدى الفلسفات التي قامت عليها الثورات الاصلاحية ، لاسيما فلسفة النهضة الأوربية التي كانت ترى "**في الفرد إرادة وإنساناً حراً فالفردية الفاعلة هي التي تشكل نواة الفكر الإنسانوي...**"[41] ، وتتجلى هذه الفلسفة المثالية أكثر فيما بين مسلم بن عوسجه (ع) حينما أوصى رفيق دربه حبيب بن

مظاهر (ع) وهو في آخر أنفاسه ، وهذا ما ذكره لنا الطبري بقوله : "**ودنا منه حبيب بن مظاهر فقال عزَّ علي مصرعك يا مسلم أبشر بالجنة فقال له مسلم قولاً ضعيفاً بشرك الله بخير فقال له حبيب لولا أني أعلم أني في أثرك لاحق بك من ساعتي هذه لأحببت أنْ توصيني بكل ما أهمك حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين قال بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله وأهوى بيده إلى الحسين أنْ تموت دونه قال أفعل ورب الكعبة قال فما كان بأسرع من أن مات في أيديهم**"[42] . أي مثالية هذه التي تجعل من مسلم بن عوسجة وهو في آخر انفاسه يوصي رفيقه حبيب بمناصرة الإمام الحسين(عليه السلام) وعدم تركه ، إنها سمو النفوس ورفعتها وأعلى درجات المثالية والتضحية في سبيل المعتقد والمبدأ.

3/ كون فلسفة الإمام (عليه السلام) وهدفه من ثورته هو الإصلاح وتوعية المجتمع وإحداث صدمة اخلاقية لإعادة المجتمع إلى مساره الأخلاقي السليم فقد رخص أنصاره وأصحابه وجعلهم في حل منه ومنحهم الحرية المطلقة في الانسحاب من الموقف ، ويشير الفيلسوف هلدرن إلى هذا المعنى الفلسفي العميق في منح مفهوم الحرية بهذا الشكل ونتائجها في تقدم المجتمع بقوله "**لابد للحرية أن تحصل ذات مرة والفضيلة ستكون أفضل متانة في النور المقدس الذي يضفي الحرارة على الحرية منها في إقليم الاستبداد .... بتحقيق أيام أفضل...**"[43] كما أنّه ذكر أنَّ فلسفة الحرية في محاربة الاستبداد مما ينتج عن ذلك تحقيق مستقبل أفضل مما هو كائن مسبقاً ، وهذا ما كان تنظر له الثورة الحسينية ولاسيما في موقفها أنف الذكر.

ويمكن تسليط الضوء على هذا الموقف من جانب آخر فيفسر أنهُ في قمة المثالية في التفاني والإخلاص ، ودلالة على أنّهُ لم يكن هدفه سياسي أو عسكري بامتياز بقدر ما هو اصلاحي للمجتمع وكان الإمام (عليه السلام) يهدف إلى السلم بكل جزئيات المواقف وتفصيلاتها وبدلالة منحه الحرية المطلقة لأنصاره على الرغم من حاجته لهم ولاسيما وهو يمر بظروف عسكرية وسياسية صعبة للغاية وتدل أيضاً أنَّ الإمام لم يكن يبغي الحرب إطلاقاً ، وفلسفة تفسير هذه الحركة وفق رأي جورج هو "**أن السلام لا يمكن ضمانه إلا عن طريق تحقيق سلام النفوس وأنَّهُ يجب اذن أن نقتل الحرب في روح الناس إذا أردنا أنْ نقضي عليها ...**"[44].

4/ يستشف أيضاً من خلال موقف أصحابه الذي أبدوا استعدادهم المطلق من أجل المبادئ السامية والنبيلة الأخلاقية والدينية وعدم التخلي عن رمزهم البطولي آنذاك والمتمثل بالإمام الحسين (عليه السلام) مما يدلل على سمو نفوسهم وأنَّ فلسفة قائدهم قد أثرت فيهم ولاسيما في جانب الإخلاص والتضحية وهذه المبادئ هي التي كانت تنظر لها فلسفة الثورة الحسينية والتي قامت من اجلها لذلك فقد اعلنوا استعدادهم للتضحية بنفوسهم وعشقهم للشهادة في سبيل الحرية من كل قيود الاستبداد بل الأكثر

من ذلك أنَّ عابس بن أبي شبيب قد أعلن أنَّه لو كان يملك شيء أغلى من النفس لضحى بها من أجل الإمام الحسين (عليه السلام) لقوله "**لو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعزَّ علي من نفسي ودمي لفعلته**"[45]، ويفسر الفيلسوف هنري جورج هذه الحركة التضحوية المثالية بقوله : "**لم يضحِ الشهداء حياتهم من أجلها ـ اي الحرية ـ اعتباطاً إذ الحرية هي شمس الحياة فكما أنَّ الشمس هي مصدر النور والحركة للعالم كذلك الحرية هي مبعث الحياة والعرفان للبشر...**"[46]. وبهذا نستنتج أنَّ حركة الإمام الحسين (عليه السلام) في إعلان استعداده للشهادة ومنحه الحرية لأصحابه بالذهاب حيثما يريدون وولكن تمسك هؤلاء الأنصار بمواقفهم الاستشهادية من أجل حرية العقيدة والمبدأ تشير إلى مبعث الحياة وبزوغ شمسها وإنارة طريق الإنسانية ومصدر للنور والحركة للعالم على حد تعبير هنري جورج آنفاً.

الخاتمة وأهم النتائج المستخلصة.

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج المفيدة والحقائق الواضحة ويمكن إجمالها بجملة من النقاط الأساسية ومنها :-

1/ الدراسة سلطت الضوء على الصراع الحسيني _ الأموي وفق رؤية فلسفية تاريخية على ضوء نظريتي الاقتصادية المادية بكل صورها والمثالية الأخلاقية بكل فلسفتها ولكل من هاتين الفلسفتين ومن يمثلهما على أرض الواقع .

2/ إنَّ سبب تبني الأمويين للنظرية المادية في حكمهم يرجع إلى عدة عوامل منها أنَّ هدفهم من وراء حكمهم هو اقتصادي بهدف السيطرة اقتصادياً على الشعوب واستنزاف خيراتها وخراجها السنوي المالي ، أضافة إلى ضعف أو انعدام الجانب الديني والأخلاقي في فلسفة حكمهم ، وغيرها.

3/ للصراع الأموي الحسيني جذوره التاريخية الواضحة مما يعني أنهُ صراعٌ متجذرٌ وليس طارئاً أو أنه ظهر في عام (61هـ) بل أبعد من ذلك وفي كل المراحل هناك مواجهة بين الخط الإلهي والخط المثالي كما أشار إلى فلسفة ذلك الإمام الصادق (عليه السلام) التي تناولناه بشيء من التفصيل والتحليل.

4/ صراع المادية والمثالية تُمثل أحد أوجه الصراع في الثورة الحسينية الأساسية وأحد عواملها الفعلية وأسبابها الرئيسة .

5/ توصلت الدراسة أيضاً إلى قدرة السلطة الأموية على استقطاب الرأي العام الإسلامي وتشخيصاً الشامي إلى حد كبير بفعل الترغيب المادي بكل صوره تارة مالي وأخرى منصبي مما أسهم في تحشد أعداد غفيرة ضد الثورة الحسينية .

6/ شكل العامل الاقتصادي محوراً مهماً في الثورة الحسينية ولكن بفلسفة تختلف عن الأموية من جانب قيامها بإصلاح هذا المفصل المهم والعمود الفقري للمجتمعات آنذاك الذي عمل الأمويين على توظيفه لمصالحهم الضيقة والسيطرة على الشعوب والتحكم بمصيرها بغية جعلها دوماً بالحاجة إلى إلمال

7/ واخيراً أثبتت الرؤية التاريخية التي تناولناها في الدراسة هذه على صدق ومثالية الثورة الحسينية ومبادئها السامية البعيدة عن التوظيف المادي أو الديني السياسي لاستغلال وتحريك الإنسان ورسم حركته في ضوء هذين المفهومين بل على العكس من ذلك حيث جعلت العقيدة السليمة والمثالية الأخلاقية والمبادئ الإنسانية هي الأساس في حركة الانسان التاريخية ورسم معالمها وطريقها واتجاهها وفلسفتها ومدى استجابته للأحداث على ضوئها .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً / المصادر الأولية

ابن أعثم ، أبو محمد احمد بن أعثم الكوفي (توفي بعد350هـ/ 926م).

1- الفتوح ، تحقيق : علي شيري ، دار الاضواء ، (بيروت: 1991م).

البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت 279 هـ/892م).

2. انساب الاشراف ، تحقيق : محمد حميد الله ، دار المعارف بمصر ، (د. ت) .

الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت381 هـ/ 983م)

3- الامالي ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ، ط1 ، مؤسسة البعثة – (قم المقدسة ـ 1417هـ).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597 هـ / 1200م).

4. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1991م) .

ابن حمدون ، محمّد بن الحسن بن محمّد بن علي (ت 562هـ/1165م).

5ـ التذكرة الحمدونية ، تحقيق : احسان عبّاس و بكر عبّاس ، ط1 ، (بيروت ـ 1996م).

-الطبري, ابو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/ 922م)

6-تاريخ الرسل والملوك, تحقيق (نخبة من العلماء) مؤسسة الاعلمي, (بيروت- 1983).

ابن طاووس ، رضي الدين علي بن موسى (ت 664هـ / 1265م) .

7- اللهوف على قتلى الطفوف ،ط1، (قم المقدسة 1417هـ / 1996م).

ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت 571 هـ / 1175م) .

ابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت 463هـ/1070م)

8- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ط1 ، دار الجيل ، (بيروت -1992م)

9- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، (بيروت ـ 1415 هـ/ 1994م).

الفتال النيسابوري, محمد بن الفتال (ت508هـ/ 1114م).

10-روضة الواعظين, تقديم : محمد مهدي- حسن الخرسان, منشورات الشريف الرضي (قم المقدسة - د.ت).

القاضي النعمان, أبو حنيفة النعمان محمد بن تميم المغربي,(ت363هـ/973م)

11- شرح الأخبار في فضائل ألائمة الأطهار, تحقيق : محمد الحسيني الجلالي,ط2 , مؤسسة النشر الإسلامي , (قم , 1414هـ/ 1994م).

ابن كثير، أبو الفدا اسماعيل بن عمر (ت 774هـ/ 1372م).

12-البداية والنهاية، تحقيق : علي شيري ،ط1، دار إحياء التراث العربي(بيروت -1988 م).

مسكويه ,أبو علي أحمد بن محمد الرازي,(ت421هـ/10031م)

13- تجارب الأمم ,تحقيق أبو القاسم إمامي ,ط2, دار سروش , ,2001م.

المفيد ، أبو عبد الله محمد بن النعمان العكبري (ت 413هـ / 1022م) .

14- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد , تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث ,ط2, دار المفيد ,(بيروت , 1993م).

ابن نما الحلي ، نجم الدين محمد بن جعفر (ت 685هـ/ 1287م)

15- مثير الاحزان ومنير سبل الاشجان ، (النجف الاشرف ـ 1950م)

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت 292هـ/ 894م).

16- تاريخ اليعقوبي، دار صادر ، (بيروت: د.ت).

ثانياً / المراجع العربية

بيضون ، إبراهيم

1/ التوابون ، د.ت . بلاط.

حسن ، حسن ابراهيم.

2- تاريخ عمرو بن العاص ، مكتبة مدبولي – (القاهرة ـ 1996م).

الصدر ، محمد باقر

3/ اقتصادنا ، تحقيق مكتب الإعلام الإسلامي – فرع خراسان ، (قم ـ1425هـ)

العقاد ، عباس محمود

4/ ابو الشهداء الحسين بن علي ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، د.ت.

الشاكري ، حسين .

5-علي في الكتاب والسنة والأدب ، تحقيق: فرات الأسدي ، ط1 ، 1418هـ.

القرشي ، باقر شريف .

6- حياة الامام الحسين (عليه السلام) ،ط1، (النجف الاشرف : 1394 – 1974م).

اللامي ، عباس محيسن

7/ الكتابة التاريخية لكتب المقتل الحسيني حتى اواخر القرن السابع الهجري ، دراسة نقدية تحليلية ، ط1، العتبة الحسينية المقدسة ، مؤسسة وارث الانبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية(النجف الاشرف ـ 2018م)

ثالثاً / المراجع الاجنبية المعربة

بولتيزر ، جورج

1/ المادية والمثالية في الفلسفة ، ترجمة وتعليق : اسماعيل المهدوي ، 1957م.

جورج ، هنري

2/ التقدم والفقر ، ترجمة : مصطفى حسنين المنصوري ، (مصر ـ1919م).

زندكولر ، هنس

3/ المثالية الالمانية ، ترجمة : ابو يعرب المرزوقي ، فتحي المسكيني ، ناجي العونلي ، ط1 ، (بيروت ـ 2012م)

لوبون ، غوستاف

4/ فلسفة التاريخ ، ترجمة : عادل زعيتر ، (مصر ـ 1954م) دار المعارف

5/ السنن النفسية لتطور الأمم ، ، ترجمة : عادل زعيتر، ط2 ، (مصر ـ1957م)

–هوايتد ، الفرد نورث

6/ كيف يتكون الدين ، ترجمة وتقديم : رضوان السيد ، ط1 ، (بيروت ـ 1917م) الجداول للنشر والترجمة والتوزيع .

ويد جري ، البان .ج.

7/ التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشيوس إلى توينبي ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، ط2 ، مصر .

هوامش البحث

[1] صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي ، من زعماء قريش في الجاهلية ، وكان تاجراً يجهّز التجّار بما له وأموال قريش إلى الشام وغيرها، فكانت إليه راية الرؤساء المعروفة بالعقاب ، فإذا حميت الحرب اجتمعت قريش فوضعت تلك الراية بيد الرئيس ، كان يجهز الجموع لقتال النبي (صلّى الله عليه واله وسلّم) إلى أن أسلم يوم فتح مكة ، وكان الإيمان في قلبه متزلزلاً ، فعد في المؤلفة قلوبهم ، ينظر ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج4 ، ص1677 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج5، ص27.

[2] فلسفة التاريخ ، ص191.

[3] التاريخ وكيف يفسرونه ، ج2 ، ص 107.

[4] لانجه ، تاريخ المادية ، ص 35.

[5] ابن خلدون ، تاريخ ، ج1 ، ص120.

[6] للوقوف تاريخياً على مجريات ووقائع هذا الصراع وخلفياته ، ينظر، النزاع والتخاصم ، ص ص 50ـ117.

[7] الصدوق ، معاني الاخبار ، ص346.

[8] تقريب المعارف ، ص 295.

[9] البلاذري ، انساب الاشراف ، ج5 ، ص13.

[10] تاريخ ، ج3 ، ص 458.

[11] مروج الذهب ، ج2 ، ص 343.

[12] الحسين أبو الشهداء ، ص25.

[13] اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 ، ص 232 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج8 ، ص 144.

[14]التوابين ، ص55.

[15] قطب الدين الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج1، ص 237.

[16] الفتوح ، ج4 ، ص320.

[17] ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج5 ، ص 89.

[18] ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج5 ، ص 18.

[19] ابن طاووس ، اللهوف في قتلى الطفوف ، ص 59.

[20] الطبري ، تاريخ ، ج4 ، ص 304.

[21] الطبري ، تاريخ ، ج4 ، ص 304.

[22] القرشي ، حياة الامام الحسين (ع) ، ج2، ص ص 278ـ 279.

[23] اقتصادنا ، ص60.

[24] ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، ج5 ، ص 96.

[25] ابن طاووس ، اللهوف في قتلى الطفوف ، ص 66.

[26] ابن طاووس ، اللهوف ، ص 79.

[27] الصدوق ، الامالي ، ص227.

[28] شرح الاخبار ، ج3 ، ص155.

[29] ابن عبد البر ، الانساب ، ج1 ، ص 393 ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج14 ، ص252؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج5 ، ص 341.

[30] المفيد ، الارشاد ، ج2، ص112 ؛ ابن مسكويه ، تجارب الامم ، ج 2 ، ص 81 .

[31] للوقوف على ماهية النظرية المثالية وتشعباتها الفلسفية والفكرية والوجودية ، ينظر ، زند كولر ، الفلسفة الالمانية ، مجلد1، ص ص 37–89 ؛ بوليتزر ، المادية والمثالية ، ص 86 ، 124 وما بعدها ،

[32] زند كولر ، الفلسفة الالمانية مجلد1، ص 76.

[33] لوبون ، السنن النفسية لتطور الامم ، ص31.

[34] الحلواني ، نزهة الناظر ، ص 81 ؛ ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ج1 ، ص 102 ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ج2، ص 240.

[35] البلاذري ، انساب الاشراف ، ج3 ، ص 169؛ المفيد ، الارشاد ، ج2، ص 78.

[36] الطبري ، تاريخ ، ج4 ، ص271.

[37] الشريف الرضي ، المجازات النبوية ،ص 357.

[38] الصدوق ، الامالي ، ص 225 ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص 187 ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ج44، ص321.

[39] هوايتد ، كيف يتكو ن الدين ، ص 30.

[40] الطبري ، تاريخ ، ج4 ، ص 317 ؛ كما وردت الرواية في مصادر أخرى مع تغيير في بعض الالفاظ ؛ ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، ج5 ، ص 95 ؛ المفيد ، الارشاد ، ج2 ، ص 92 ؛ ابن طاووس ، اللهوف في قتلى الطفوف ، ص 55.

[41] روس ، مغامرة العقل الاوربي ، ص119.

[42] تاريخ ، ج4 ، ص 332.

[43] زندكولر ، المثالية الالمانية ، مج2، ص 97.

[44] زندكولر ، المثالية الالمانية ، مج2، ص 122.

[45] الطبري ، تاريخ ، ج4، ص 338.

[46] التقدم والفقر ، ص ص 188-189.